نظم كلمة التوحيد في القرآن المجيد
"دراسة بلاغية"

الدكتـــــور
فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر
أستاذ مساعد بلاغة ونقد – شعبة اللغة العربية
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، علم الإنسان ما لم يعلم، الرحمن، علم القرآن، فتح على بعض عباده فتوح العارفين، فألقى في أفهامهم بعضا من أسرار كلامه، إذ إن كلامه لا يحيط به كلام، ولا يسبر غور أسراره أحد من البشر إلا الكامل من البشر سيدنا محمد ﷺ.

فاللهم صل وسلم وبارك على معلم البشرية أصول التوحيد، خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فهذا البحث بعنوان:

نظم كلمة التوحيد في القرآن المجيد "**دراسة بلاغية**" يتناول بعضا من أسرار كتاب الله في آيتين تفردتا بذكر كلمة التوحيد المشرفة بذكر لفظ الجلالة بها، وهى "لا إله إلا الله"، وقد حدا بي إلى تناول هذا الموضوع أمران:

الأول: إن التوحيد وما يدل عليه هو أصل كل الأصول في الدين، فإن صح قولا وعملا صح ما جاء بعده وما بنى عليه، وإن فسد كان مبدأ الانهيار والانحدار.

الثاني: أردت الحديث عن موضوع التوحيد وهو موضوع معروض في كل سور القرآن تناولته ألفا آية تقريبا، أي: ما يعادل ثلث القرآن، لحاجة الكثيرين إلى تجديد إيمانهم، فأردت ربط الدرس البلاغي بالواقع الذي نعيشه، واخترت آيتين فقط من بين الآيات تفردتا بذكر كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فهى العروة الوثقى التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه، وهى

ليست مجرد لفظ يقال بل لا بد أن تقال بمعرفة لمعناها وبعمل بمقتضاها، فلها معنى ولها مقتضى.

أما معناها: فلا معبود بحق إلا الله، وأما مقتضاها: فهو ترك عبادة غير الله، وكثير من الناس اليوم تلتبس بشرك، إذ يشرك مع الله غيره في إخلاص العمل له وعدم الانقياد له والتعلق بأسباب الدنيا دون الأخذ بالتوكل عليه؛ ومثل هذا كثير.

وتكمن أهمية البحث في أنه: حديث عن إعجاز القرآن الكريم (الآيتين محل البحث) من حيث النظم، وأوجه التناسب بين الآية والسورة في كل موطن، لأن الباحث في هذا المجال كالواقف على ثغر من ثغور الإسلام يسد ثلمة، ويدفع شبهة، لأن المتربصين بالنص القرآني من المستشرقين كثر، ولا فكاك إلا بالتصدي لمثل هؤلاء.

وقد أوضح البحث العناصر والأهداف الآتية:

- وجه المناسبة بين آيتي كلمة التوحيد وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من آيات.
- مظاهر بلاغة النظم القرآني في كل من الآيتين.
- علاقة كل آية من الآيتين بالمعنى المحوري للسورة الواردة بها.
- علاقة نظم كل من الآيتين بالأخرى.

من هنا كان البحث قائما على **تمهيد** اشتمل على: حديث حول كلمة التوحيد.

و موجز عن قضية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، وبيان أن من أهم الأسباب التي دعت الإمام عبدالقاهر الجرجاني إلى الحديث عن النظم، هو بيان توضيح أن القرآن الكريم معجز بنظمه.

ثم ولى التمهيد **مبحثين**؛

الأول: نظم كلمة التوحيد في سياق الحديث عن موقف المشركين يوم القيامة (في سورة الصافات).

الثاني: نظم كلمة التوحيد في سياق الحديث عن محمد ﷺ وأتباعه المؤمنين (في سورة محمد).

وحتى لا يجتزأ النص من سياقه ويقتطع من محيط معناه، وهذا لا يجوز مع أي نص، فما بالنا بالنص القرآني؛ وطئت للمبحثين بحديث عن السورة وسياق كلمة التوحيد فيها وعلاقة موضوع السورة الرئيس بالآية محل البحث، وموقع الآية من السورة، ثم **خاتمة** فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات البحث، ثم **المصادر والمراجع**.

وقد كان المنهج الوصفي هو المنهج الأساس لهذا البحث، حيث قمت بتوصيف الألوان والأسرار البلاغية المتعلقة بنظم الآيتين، ثم ولى المنهج الوصفي المنهج الاستنباطي في استنباط واستخراج ما وراء النص من أسرار

بلاغية وعلاقات للمعاني وأوجه المناسبة مستعينة في ذلك كله بالله أولا ثم بمصادر ومراجع البحث التي فتحت لي الكثير وساعدت على أن أخرج البحث بهذه الصورة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، وأن يغفر لي ما وقع فيه من سهو أو خطأ أو نسيان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحثة

التمهيد

قبل الحديث عن أسرار نظم كلمة التوحيد (الآيتين محل البحث) تجدر الإشارة إلى شيئين مهمين:

الأول: أن كلمة (لا إله إلا الله) لها أسرار يفتح الله بها على من يشاء من عباده، فالله سبحانه وتعالى " قدم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار؛ والسبب فيه أن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول، والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع، والأصل يجب تقديمه على الفرع" (١)

الثاني: أن (لا إله إلا الله) من أفضل الأذكار، فالعدو لما جاءته المحنة فزع إليها، والولي لما جاءته المحنة فزع إليها، فأما العدو وهو فرعون حينما قرب من الغرق قال: "آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل" (يونس آية ٩٠)، وأما الولي فيونس عليه السلام حين نادى في الظلمات " ألا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" (الأنبياء ٨٧)، وقد قبل الله نداء نبيه ولم يقبل نداء عدوه؛ لأن هناك فرق بين النداءين؛ فيونس سبقت له المعرفة بالكلمة، وهذه إعانة على القبول، أما فرعون فقد سبق كفره، كما أن يونس ذكر هذه الكلمة مع الحضور، فقال (لا إله إلا أنت) أما فرعون فإنه أحال العلم بحقيقة هذه الكلمة على الخبر، فقالها في الغيبة فقال (لا إله إلا

---

(١) من أسرار التنزيل للأمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) تحقيق عبد القادر أحمد عطا. الناشر دار المسلم صـ٢٠.

الذي آمنت به بنو إسرائيل) فقلد فيها بني إسرائيل، بينما ذكرها يونس عليه السلام على سبيل الاستدلال مع العجز والانكسار (سبحانك إني كنت من الظالمين). [١]

وقبل الدخول إلى التحليل البلاغي لنظم الآيتين حرى بالبحث الإشارة إلى قضية النظم وأهميتها وأهم المبادئ التي تستند عليها، وأبدأ بما انتهى به الأولون وإمامهم، الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي وصل في هذه القضية إلى رأى حاسم، حيث انتهى في دلائل الإعجاز إلى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ، وإنما من حيث دلالته، وأن المعنى وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو خاطر في الضمير، إنما من حيث إنه ممثل في لفظ يدور البحث فيه، وأن المعنى مقيد في تحديده بالنظم الذي يؤدى به، فلا يمكن أن يختلف النظمان، ثم يتحد المعنى تمام الاتحاد[٢]، وقد لخص عبدالقاهر علاقات الكلم الجارية على قانون النحو والتي بها يحصل النظم بقوله " والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينهما طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما" [٣].

---

(١) المرجع السابق نفسه صـ ٤٨، ٤٩ بتصرف.

(٢) ينظر التصوير الفني في القرآن للشيخ سيد قطب – دار المعارف صـ١٩٤.

(٣) ينظر دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني ت: محمود محمد شاكر – مكتبة الأسرة صـ٤ وينظر المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها

فقضية النظم تقوم على ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس ترتيبا تنشأ عنه معان إضافية ثانية وهى معان ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند والمسند إليه، وفي أضرب الخبر، وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال وفي الفصل والوصل والإيجاز والإطناب ونحو ذلك مما فصله عبدالقاهر في كتاب دلائل الإعجاز.[1]

إذن النظم: هو توخي معاني النحو فيما بين الكلم، والنحو له المعاني الأول، أما المعاني الثواني، وما وراء النظم فهو: ما يهتم به علم البلاغة، وتقوم عليه قضية النظم وإعجاز القرآن.

والنظم كان شائعا منذ القرن الثاني الهجري ومتداولا بين العلماء إما في تناولهم للقصد من النحو، وأنه ليس مقصورا على حركات الإعراب، بل يتعداه إلى تأليف الكلمات وارتباط الجمل، وإما في تناولهم لقضية اللفظ والمعنى التي يتوصل بها إلى إعجاز القرآن، لذا فإن الطريق الذي سلكه الإمام عبد القاهر الجرجاني لم يكن موصدا بحيث يتحتم عليه أن يطرقه ويفتحه، بل كان الطريق معبدا، مستهديا فيه بآراء العلماء السابقين، ولكن لم

وتطورها حتى القرن السابع الهجري د/ أحمد جمال العمرى – مكتبة الخانجى – القاهرة سنة ١٤١٠/ ١٩٩٠ صـ٢٤٠.

(١) ينظر البلاغة وقضية الإعجاز د/ عبدالمجيد عبدالمجيد هنداوى صـ٢٤،٢٥ (بدون طبعة).

يكن محاكيا لما قبله بحيث لم يضف شيئا إلى السابقين.[١] بل إنه بسط قواعد تلك النظرية وأوضح معالمها وكان الداعي إليها وإلى تأليف كتابه دلائل الإعجاز والحديث عن القضية في ثناياه هو إثبات إعجاز القرآن الكريم من جهة نظمه وبلاغته وليس بالصرفة كما قال من سبقوه.

والمتأمل في أسلوب القرآن الكريم يجد أنه طبقة وحده في نظمه وتأليفه، فهو يفوق طاقات البشر لأن "الأسلوب فيه يجرى عن نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جمع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم شعرا ونثرا... كم أنه يظل جاريا على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ، وعمق المعنى، ودقة التركيب رغم تنقله بين موضوعات مختلفة، كما أن معانيه مصوغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافاتهم وعلى تباعد أذمتهم وبلداتهم، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم".[٢]

هذا والبحث الذي بين أيدينا الآن تعرض لقضية النظم من خلال آيتي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وفصل القول فيها تطبيقا على ألفاظها واتساق معناها مع مراعاة السياق العام والخاص للآية، والآن مع التحليل البلاغي والجانب التطبيقي لهذه القضية.

---

(١) ينظر دراسة في بلاغة عبدالقاهر الجرجاني "النظم" للدكتور عبدالقادر حسين سنة ١٤١٧/ ١٩٩٧ صـ١٣.

(٢) ينظر الإعجاز في نظم القرآن، د/ محمود السيد شيخون ط١ – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة سنة ١٣٩٨/ ١٩٧٨ صـ٧٠:٦٦ باختصار وتصرف.

المبحث الأول

نظم كلمة التوحيد في سياق الحديث عن موقف المشركين يوم القيامة في سورة الصافات

توطئة:

سورة الصافات سورة مكية نزلت بعد سورة الأنعام، سميت بذلك لابتدائها بالقسم بالصافات وهم الملائكة التي تقف صفوفا للعبادة، أو تصف أجنحتها في الهواء منتظرة وصول أمر الله إليها، وتبلغ آيات هذه السورة ثنتين وثمانين ومائة آية[١]، وهى سورة تتناول أصول العقيدة الإسلامية من التوحيد والبعث والجزاء والوحي والرسالة، وتهدف إلى تقرير الدعائم والأركان التي شيدت عليها عقيدة الإيمان ...[٢]

وهذه السورة... [٣]

حيث إن ما أجمل في سورة يس في قوله تعالى:"ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون"(يس ٣١)، وجاء ذلك مفصلا في سورة

---

(١) النظم الفني في القرآن للشيخ عبدالمتعال الصعيدى – مكتبة الآداب – القاهرة صـ٢٥٩.

(٢) إيجاز البيان في سور القرآن لـ محمد على الصابوني – مكتبة الغزالي – مكة المكرمة سنة ١٣٩٨ هـ صـ١٥٢.

(٣) أسرار ترتيب القرآن لجلال الدين السيوطي – دار الفضيلة للنشر والتوزيع صـ ١٢٧.

الصافات في قوله تعالى "بل عجبت ويسخرون" الصافات ١٢ إلى آخر السورة.

إذن المعنى المحوري للسورة هو أصول العقيدة الإسلامية والتي على رأسها التوحيد والإيمان بالوحي، وكذلك اليوم الآخر وما فيه من غيبيات واجب الإيمان بها إذ إنها من أركان الإيمان، كما قصدت إلى إبطال الشرك حيث كان من كفار قريش من يعبد الملائكة، ويزعمون أنها بنات الله، ويتخذون من الشياطين قرناء لهم يطيعونهم ويزعمون أن بينهم وبين الله نسبا، وأنهم أي الجن يعلمون الغيب لمكانتهم عند الله، فأبطل الله تلك الأساطير المتهافتة، ثم انتقل الحديث عن القيامة وأهوالها وإنكار المشركين للبعث واستبعادهم أن يعودوا للحياة ثانية بعد أن بليت عظامهم وتحللت. وذكرت السورة قصة المؤمن الذي كان له جليس مكذب ينكر الآخرة، فكان يسخر منه ويوبخه على إيمانه وتصديقه بالبعث والجزاء، ونقلت الآيات صورة لهذا المؤمن وهو في الجنة وجليسه المكذب في النار حيث اطلع عليه فرآه في سواء الجحيم وذلك للترغيب في مصير هذا المؤمن والترهيب من مصير ذلك المكذب ؛ ثم حديث عن قصص الغابرين في معرض الترغيب والترهيب مع أنبيائهم وختمت السورة بعود على بدء والتأكيد على أن الملائكة والجن من مخلوقات الله وهو سبحانه الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

فكانت المقاصد الأساسية في السورة تدور في أفلاك ثلاثة:

الأول: إبطال الشرك الآيات من ١-١٠.

الثاني: أخذ المشركين بالترهيب والترغيب الآيات ١١-١٤٨.

الثالث: إبطال بنوة الملائكة والجن الآيات ١٤٩-١٨٢ [١].

من هنا جاءت الآية محل البحث متوسطة بين إبطال الشرك في أول السورة وفي آخرها، وجاءت على لسان لم يسمى:"إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون" فهى مقول قول لم يذكر قائله للعلم به وهو النبي المرسل ﷺ وذلك ترهيبا لهم لشركهم وتسجيلا عليهم هذا الموقف الذي حتما سيصلون له لو أصروا على ما هم فيه من شرك وضلال.

---

(١) ينظر النظم الفني في القرآن صـ٢٥٩-٢٦١ بتصرف واختصار، وإيجاز البيان في سور القرآن للصابوني صـ١٥٢ -١٥٥ بتصرف واختصار.

قال تعالى: { إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) } [الصافات: ٣٢ - ٣٥].

المعنى العام للآيتين وعلاقتهما بما قبلهما وما بعدهما:

هاتان الآيتان من السورة المكية، التي تتميز بكونها: قصيرة الفواصل، سريعة الإيقاع، كثيرة المشاهد والمواقف، متنوعة الصور والظلال، عميقة المؤثرات، وبعضها عنيف الوقع، عنيف التأثير.

والسورة ككل تستهدف - كسائر السور المكية - بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله. ولكنها - بصفة خاصة - تعالج صورة معينة من صور الشرك التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى. وهي ادعاء أن بين الجن والملائكة نسب، أو أن الملائكة بنات الله. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

كما تتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى التي تتناولها السور المكية. فتثبت فكرة التوحيد مستدلة بالكون المشهود: «إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ المَشارِقِ».. وتنص على أن الشرك هو السبب في عذاب المعذبين في ثنايا مشهد من مشاهد القيامة: «فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ. إِنَّا كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالمُجْرِمِينَ. إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ: أَإِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ؟ بَلْ جاءَ بِالحَقِّ وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ. إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ. وَما تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»..

كذلك تتناول قضية البعث والحساب والجزاء. «وَقالُوا : إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ. أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لمَبْعُوثُونَ؟ أَوَآباؤُنَا الْأَوَّلُونَ؟ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ داخِرُونَ» .. ثم تعرض بهذه المناسبة مشهدا مطولا فريدا من مشاهد القيامة الحافلة بالمناظر والحركات والانفعالات والمفاجئات! وتعرض لقضية الوحي والرسالة الذي ورد من قولهم : «أَإِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ؟» والرد عليهم : «بَلْ جاءَ بِالحَقِّ وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ» ..

وبمناسبة ضلالهم وتكذيبهم. تعرض سلسلة من قصص الرسل : نوح وإبراهيم وبنيه. وموسى وهارون. وإلياس، ولوط. ويونس. تتكشف فيها رحمة اللّه ونصره لرسله وأخذه للمكذبين بالعذاب والتنكيل : «وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ. فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُنْذَرِينَ. إِلَّا عِبادَ اللهِ المُخْلَصِينَ» ....والمؤثرات الموحية التي تصاحب عرض موضوعات السور وقضاياها ، تتمثل بشكل واضح في : مشهد السماء وكواكبها وشهبها ورجومها : «إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ. وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ. لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَإِ الْأَعْلى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً وَلهُمْ عَذابٌ واصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ» ...

وفي مشاهد القيامة ومواقفها المثيرة ، ومفاجآتها الفريدة ، وانفعالاتها القوية....ويجري سياق السورة في عرض موضوعاتها في ثلاثة محاور رئيسة :

المحور الأول : يتضمن افتتاح السورة بالقسم بتلك الطوائف من الملائكة : والصافات صفا. فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا على وحدانية اللّه رب

المشارق، مزين السماء بالكواكب. ثم تجيء مسألة الشياطين وتسمعهم للملأ الأعلى ورجمهم بالشهب الثاقبة. يتلوها سؤال لهم : «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً» أم تلك الخلائق : الملائكة والسماء والكواكب والشياطين والشهب؟ للتوصل من هذا إلى تسفيه ما كانوا يقولونه عن البعث ، وإثبات ما كانوا يستبعدونه ويستهزئون بوقوعه. ومن ثم يعرض ذلك المشهد المطول للبعث والحساب والنعيم والعذاب. وهو مشهد فريد ..[1] وفيه الآية محل البحث.

ويلاحظ مدى الترابط بين نظم الآيات السابقة واللاحقة والآية محل البحث، إذ هناك تصاعد في المعنى وتسلسل في تصوير المشاهد ينقل المتلقي إلى أجواء أخرى، فيصل الترغيب والترهيب في النفس مبلغه، فيتعظ ويتدبر كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المحور الثاني: يبدأ بأن هؤلاء الضالين لهم نظائر في السابقين ، الذين جاءتهم النذر فكان أكثرهم من الضالين. ويستطرد في قصص أولئك المنذرين من قوم نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس ولوط ويونس وكيف كانت عاقبة المنذرين وعاقبة المؤمنين.

المحور الثالث والأخير: يتحدث عن تلك الأسطورة التي مر ذكرها : أسطورة الجن والملائكة. ويقرر كذلك وعد الله لرسله بالظفر والغلبة :

---

(١) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب – ط١٣ – دار الشروق– القاهرة سنة ١٩٨٧. جـ٥/ ص ٢٩٨٠: ٢٩٨٢ باختصار.

«وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا المُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لهُمُ المَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنا لهُمُ الْغالِبُونَ» ..

وينتهي بختام السورة بتنزيه اللهّ سبحانه والتسليم على رسله والاعتراف بربوبيته : «سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ. وَالحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعالمَِينَ» .. وهي القضايا التي تتناولها السورة في الصميم [١].

وكما بدأت السورة بالقسم على أن الله واحد لا إله غيره، ختمت السورة بما بدأت به تأكيدا على معنى التوحيد، الذي جاء في سياق الحديث عن المشركين عند قيام الساعة والحساب، بلفظ "لا إله إلا الله" التي لم تأت في القرآن كله إلا مرتين، هذه أولاهما.

فما الذي دعى إلى مجيء هذه الصيغة بالذات؟ وما مظاهر البلاغة في الآيات؟

التحليل البلاغي للنظم القرآني في الآيتين:

جاءت الآية محل البحث في ثنايا التبكيت والمواجهة للمشركين بعاقبة ما قابلوا به دعوة التوحيد في الدنيا، فقال تعالى: "إنهم كانوا" أي: في الدنيا، "إذا قيل لهم" أي: قال الرسول ﷺ، أو أي قائل لهم، وإنما بني الفعل لما يسم فاعله لأنه أراد التركيز على المقول الذي أنكروه، وهو: "لا إله إلا الله" وهي جملة المفعول للقول، "فـ "لا" نافية للجنس، و"إله" اسمها مبني

(١) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب. جـ٥/ ٢٩٨٢. بتصرف.

على الفتح في محل نصب، و"إلا" أداة حصر، "الله" لفظ الجلالة بدل من محل لا واسمها؛ لأن محلها الرفع على الابتداء، أو بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف... وقد خاض علماء النحو والتفسير كثيرا في إعراب "لا إله إلا الله" وهي كلمة الشهادة، واتفقوا على أن خبر لا محذوف أي: لنا، أو: في الوجود، أو نحو ذلك"[١]

وحتى لا ينقطع النص عن سياقه القريب يوضح البحث بالتحليل مظاهر النظم القرآني البلاغية من قوله تعالى: "إنا كذلك نفعل بالمجرمين"، "أي: (مثل هذا الفعل بهؤلاء نفعل بكل مجرم ، فيترتب على إجرامه عذابه . ثم أخبر عنهم بأكبر إجرامهم ، وهو الشرك بالله، واستكبارهم عن توحيده ، وإفراده بالآلهية". ثم ذكر عنهم ما قدحوا به في الرسول ، وهو نسبته إلى الشعر والجنون ، وأنهم ليسوا بتاركي آلهتهم له ولما جاء به ، فجمعوا بين إنكار الوحدانية وإنكار الرسالة . وقولهم : {لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} : تخليط في كلامهم ، وارتباك في غيهم . فإن الشاعر هو عنده من الفهم والحذق وجودة الإدراك ما ينظم به المعاني الغريبة ويصوغها في قالب الألفاظ البديعة ، ومن كان مجنوناً لا يصل إلى شيء من ذلك)[٢].

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش-ط٣- دار الرشاد- حمص- سوريا -١٩٩٢م ج١/ ٢٢٢ بتصرف واختصار. وينظر رسالة معنى (لا إله إلا الله) للإمام الزركشي ص١ –ص٥. بدون طبعة أو تاريخ.

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي- دار الكتب العلمية- بيروت- ٢٠٠١م. ج٧/ ٣٤٣.

(فقولـه "إنـا" أي: مثـل ذلـك الفعـل "نفعـل" بكـل مجـرم؛ يعنـي أن سـبب العقوبة هو الإجرام، فمن ارتكبه استوجبها، "إنهـم كـانوا إذا" سـمعوا بكلمـة التوحيد نفروا واستكبروا عنها، وأبوا إلا الشرك)[١].

ومعنى كلام العلامة الزمخشري أنه ربـط نظـم الكـلام بـما سـبق، فكـما أغـووا بعـضهم بعـضا في الـدنيا تـشاركوا العـذاب في الآخـرة؛ جـراء مـا فعلـوا واستكبروا عن كلمة التوحيد، التي لا يستكبر عنها إلا من لا عقـل لديـه يفكـر، وكما فعل بهم هـذا العقـاب، سـنفعل مثـل هـذا لكـل مـن يـسير عـلى نهجهـم، ويستكبر عـن كلمـة الحـق ودعوتـه، فقـدم الـنظم الكـريم الترغيـب والترهيـب الكافيين لردع كل من يريـد أن يـسلك هـذا المـسلك، فجـاءت كلمـة التوحيـد منظومة في سياق الحديث عن المشركين، والإخبـار عـن أنهـا قيلـت لهـم في الدنيا فاستكبروا عنها وأبوا أن يقولوها، ناهيك عن أن يعملوا بمقتضاها.

ويبين الإمام البقاعي وجه المناسبة بين الآيات فيقـول: " لمـا أخـبر سـبحانه باشـتراكهم ، اسـتأنف الإخبـار بـما يهـول أمـر عـذابهم ويـشير إلى عمومـه في الـدارين لكـل مـن شـاركهم في الإجـرام ، فقـال مؤكـداً دفعـاً لظـن مـن ينكـر القيامة، وظن من يرى الإملاء للمجـرم في الـدنيا نعمـة وينفـي كونـه نقمـة ، أو يفعل في التمادي في الإجرام فعل المنكر ؛ {إنا} أي بـما لنـا مـن العظمـة التـي لا يفوتهـا شيء {كـذلك} أي مثـل هـذا الفعـل العظـيم الـشأن {نفعـل} بهـم –

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تأليف القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري- دار المعرفة – بيروت.ج٣/ ٣٣٩.

هكذا كان الأصل ، ولكنه علق بالوصف تعميماً وتعليلاً فقال : {بالمجرمين} أي كل قاطع لما أمر الله به أن يوصل في الدنيا والآخرة ، نهمل ثم نأخذ أخذاً عنيفاً يصير به المشتركون في الظلم أعداء يتخاصمون ، ويحيل بعضهم على بعض ثم لا ينفعهم ذلك ، بل نشارك بينهم في العقوبة، والجملة تعليل لما اقتضته جملة (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون) أي: فإن جزاء المجرمين يكون مثل ذلك الجزاء في مؤاخذة التابع المتبوع. والمراد بالمجرمين: المشركون، أي المجرمين مثل جرمهم، وقد بينته جملة (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون)، وهي استئناف بياني أفاد تعليل تعذيبه لهم بقوله مؤكداً للتعجب منهم، لأن فعلهم هذا أهل لأن ينكر، لأن هذه الكلمة لا يصدق عاقل أن أحداً يستكبر عليها؛ لأنه لا شيء أعدل منها، وقيل: أن "إن" هنا ليس للتأكيد، وإنما هو للاهتمام بالخبر، فلذلك تفيد التعليل والربط، وتغني عن فاء التفريع.

{إنهم كانوا} أي دائماً {إذ قيل لهم} أي من أيّ قائل كان : {لا إله} أي يمكن، وإذا نفي الممكن كان الموجود أولى فإنه لا يوجد إلا ما يمكن وجوده، وإن كان واجباً {إلا الله} أي الملك الأعلى المباين لجميع الموجودات في ذاته وصفاته وأفعاله، كما هو الحق ليفردوه بالإلهية، كما تفرد بالخالقية كما لا يخفي على من له أدنى مسكة بصفات الكمال ، وقدم النفي لأن التحلية لا تكون إلا بعد التخلية {يستكبرون} أي: يوجدون الكبر عن الإقرار بهذا الحق، الذي لا أعدل منه وعن متابعة الداعي إليه، استكبار

من هو طالب للكبر من نفسه ومن غيره لما فيه من العراقة والعتو ، فلم يكن لهم مانع من أبواب جهنم[١].

وتأمل معي بلاغة النظم القرآني في جعل الضمائر للجمع، وهو ضمير العظمة لله سبحانه، ومماثلة الجزاءات وحسن توصيل المعنى لكي يتحمل كل واحد مسئولية نفسه، أمام الله عند الحساب.

كما كان للتعبير بـ"إن" وفعل الكينونة الماضي ما يدل على أن الاستكبار وصف متمكن منهم، ولا يحيدون عنه.

ومجيء كلمة التوحيد بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، الذي يكون دائما في مقام مخاطبة الجاهلين والمنكرين، فلاءم السياق، وناسبه، إذ بلغ بكلمة التوحيد وأمروا بها، فزال عنهم عذر الجهل، وسجل عليهم الاستكبار والعتو والمغالاة في الباطل.

وهو قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا، أفاد الإيجاز والتأكيد. إذ إن الجملة القصرية بمقام جملتين.

ويلاحظ على أسلوب الآيات من أول السورة ومرورا بالآيتين محل الدراسة أن الوقع عنيف، وأن التأثير قوي، وذلك لما لهذه الآيات القصيرة الفواصل، المتعاقبة السريعة من تصوير للمعنى في هذا المقام.فيغلب على الآيات

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي- دار الكتب العلمية – بيروت. ج٦/ ٣٠٨.وينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور- دار سحنون- تونس. المجلد ٩ج٢٣/ ١٠٧، ١٠٨ بتصرف.

المكية قوة الزجر، وتعاقب الفواصل، والقرع الشديد للعقول، لإيقاظها من سباتها، وإعلامها والنجاة بها من غياهب الضلال والشرك.

ومن بلاغة النظم القرآني أن اختار مفردات بعينها، لا يقوم مقامها غيرها، كتعبيره بـ "المجرمين" فإن التعبير بهذا الاسم الدال على أناس لهم صفات معينة تنطبق على الكافر والمشرك والمعاند، وكلها يعطي ظاهرها ترادفا مع كلمة المجرمين، إلا أن النظم القرآني آثر الإجرام وأوقعه على هؤلاء ليسجل على مشركي مكة وعلى غيرهم ممن أنكروا التوحيد، وقابلوا دعوة الحق بالسخرية والاستهزاء، فلاءمت الكلمة هنا موضعها، وهذا شأن النظم القرآني دائما. إذ لا يقوم مقام هذه المفردة غيرها وإن كانت مفسرة بها.

كذلك فإن بناء الفعل في آية كلمة التوحيد لما لم يسم فاعله، وجه آخر من وجوه إعجاز النظم في الآية، إذ ليس مهما من قال لهم، وإنما التركيز على المقول، فقد بلغوا بكلمة التوحيد وعلموها، ولكنهم استنكفوا أن يقولوها ويقبلوها ويعملوا بمقتضاها. وما كان التركيز على المقول إلا بعد أن لم يذكر الفاعل، وتدليلا على أن مهمة المسلم الحق أن يقوم بالتبليغ، وأداء الأمانة، فحين الحساب سيحاسب الناس على أنهم عرفوا فما أخذوا، وعلموا فما التزموا.

وصوغ كلمة التوحيد بهذا الشكل له دلالة عميقة، أراد القرآن الكريم أن يسجلها على المشركين حين يؤلون لهذا الموقف الصعب، الذي لا مهرب منه ولا منجى. فلم يقل: لا إله إلا أنا، كما جاء في سياقات قرآنية أخرى، علما بأن الحديث بضمير التكلم سبقها في الجملة السابقة لها "إنا كذلك

نفعل بالمجرمين"، فالتفت من التكلم إلى الغيبة فعبر بالاسم الظاهر، وهو من قبيل الغيبة، لمهابة الاسم الجليل أولا، إذ كيف يتصور أن يعدل أحد عن هذه الكلمة، وفيه مسكة من عقل. ولبلاغة الالتفات وهو المعروف بشجاعة العربية، إذ ندر أن يوجد في غير اللغة العربية، ولذا أطلق عليه شجاعة العربية.

ومعلوم أن الالتفات يوقظ الذهن ويلفت الانتباه، لما فيه من تغاير الضمائر والمتحدث عنه واحد على رأي جمهور البلاغيين إلا السكاكي. فالالتفات من أجل علوم البلاغة، "وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، وسمي بذلك أخذا له من التفات الإنسان يمينا وشمالا، فتارة يقبل بوجهه، وتارة كذا، وتارة كذا، فهكذا حال هذا النوع من علم المعاني"[١].

وقوله: {إِذَا قِيلَ لهُمْ لاَ اله إِلاَّ اللهُ} وفي القتال {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ اللهُ} بزيادة (أَنَّه) وليس لهما في القرآن ثالث؛ لأَنَّ ما في هذه وقع بعد القول فحكِى، وفي القتال وقع بعد العِلْم فزيد قبله (أَنَّه) ليصير مفعولَ العلم، ثمّ يتصل به ما بعده[٢].

---

(١) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- تأليف يحيى بن حمزة العلوي اليمني- دار الكتب العلمية- بيروت. ج٢/ ١٣١.

(٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ت: محمد على النجار- ط٣- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة- سنة ١٩٩٦م. ج١/ ص ٢٧٦.

وقد انفرد الموطنان بكلمة التوحيد بالعلم المفرد" الاسم الجليل الله" ولم تأت كلمة التوحيد هكذا إلا في هذين الموطنين فقط وذلك لأن السياق طلبها واستدعاها.

فموطن سورة الصافات والذي الكلام بصدده في سياق الحكاية عن المشركين ورفضهم لها، واستكبارهم عن قبولهم التوحيد والإيمان بالله وحد. فالموقف يتطلب كلمة فيها جلال الألوهية، فيها مهابة، تحمل في طياتها دعوى قبولها، فالله علم مفرد مختص به وحد، فلا معبود بحق إلا الله؛ لذا كان من الملائم أن تكون هي المعبرة عن المكنونات النفسية، والمؤثرة في المتلقي أيما تأثير، لن يعطي تأثيرها أي ضمير آخر. فالسياق استدعاها والمقام اقتضاها.

ومعلوم أن حروفها غير متعلقة بنقاط، لتدل على التجرد والإخلاص لله وحده، وعدم التعلق بشيء من حطام الدنيا.

ومخارج الحروف فيها بين اللسان والجوف فهي وفية تخرج الهاء المتكررة فيها من أقصر الحلق، فكأنها تخرج من القلب لتجد لها صدى وقبولا عند من أمرنا بها، ودعانا للعمل بمقتضاها.

وجملة "إنا كذلك نفعل بالمجرمين" فصلت عما قبلها لشبه كمال الاتصال، حيث إنها عللت سبب اشتراك المشركين في العذاب، فأوضحت السبب؛لأننا سنفعل مثل هذا العقاب مع كل من ارتكب هذه الجريمة الشنعاء وأنكر واستكبر، فسيخلد في جهنم وبئس المصير.

كذلك فصلت جملة "إنا كذلك نفعل بالمجرمين" عن "إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون" أيضا لشبه كمال الاتصال، لأن آية كلمة التوحيد وضحت وبينت لم سموا في الآية قبلها بالمجرمين، إذ أنكروا كلمة التوحيد واستكبروا عنها، وسخروا بمن جاء بها واتهموه بالشعر والجنون، فقالوا بعدها "أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون".

والآية هنا وثيقة الارتباط والصلة بالمعنى المحوري أو الأم في السورة، إذ جاءت السورة لمعالجة موضوع التوحيد، فبدأت بالقسم على أن الله واحد، "إنم إلهكم لواحد"، ثم استمر الحديث عن أركان الإيمان من حي الإيمان باليوم الآخر وما فيه،، في ثنايا الحديث والمقارنة بين مصير كل من المؤمنين والكافرين، وذكر لبعض قصص الرسل السابقين من باب الترغيب والترهيب، ثم عود على بدء، والتأكيد على أن الجن والملائكة من مخلوقات الله، وليس كما كان يدعي المشركون.

وأخيرا، فإن الآية هنا في سياق الحديث عن رفض المشركين لها، والآية التي ستأتي في الصفحات القادمة في سياق أمر النبي ﷺ وأتباعه المؤمنين بالالتزام بها وأنها مقدمة على غيرها من فروع الدين، لأنها أصل الأصول.

فوضح التناسب والعلاقة الوثيقة بينهما.

المبحث الثاني

نظم كلمة التوحيد في سياق الحديث عن محمد ﷺ وأتباعه المؤمنين في (سورة محمد)

توطئة:

سورة (محمد) أو القتال كما جاء اسمها في بعض كتب علوم القرآن سورة مدنية نزلت بعد سورة الحديد، وسميت بهذا الاسم لقوله تعالى فيها:" والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد" (آية٢)، وتبلغ آياتها ثماني وثلاثين آية.(١)

ويرجع سبب التسمية أيضا إلى أن سورة محمد فيها تخليد لذكر أسمه الشريف ﷺ، وإعلانا بأن هذا الرسول الذي ختم الله به الرسالات السماوية وختم به النبوة هو النبي الصادق الهادي الأمين، وأنه هو وأتباعه على المحجة البيضاء والصراط المستقيم، وأنهم على نور وهداية من الله، كما أن اسمها سورة القتال وهو اسم حقيقي لها مناسب لموضوعاتها وأهدافها، فالقتال لأعداء الله هو موضوعها الأساسي وهو المحور الذي تدور عليه السورة الكريمة.(٢)

وهى تعنى بجانب التشريع وتهتم بالأحكام التشريعية التي يقوم عليها نظام الإسلام في العبادات والآداب والأخلاق والمعاملات وسائر النواحي التشريعية؛ فبدأت السورة بالتحريض على القتال من الآية ١ -٣٨ ومهد

---

(١) النظم الفني في القرآن صـ٢٨٦.

(٢) إيجاز البيان في سور القرآن للصابوني صـ١٩٤.

للتحريض على القتال ببيان وجه استحقاق الكفار له لأنهم اتبعوا الباطل بينما اتبع المؤمنون الحق فأصلح الله بالهم.

ولا يخفي ارتباط أول هذه السورة بختام ما قبلها حيث قال في آخر سورة الأحقاف: {فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} "الأحقاف: ٣٥"، وبدأت سورة محمد بـ "الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله" فإنه لو أسقطت البسملة منه لكان متصلًا اتصالًا واحدًا لا تنافر فيه كالآية الواحدة، آخذًا بعضه بعنق بعض، وسورة القتال متممة لموضوع سورة الأحقاف قبلها؛ فالأحقاف فيها الحديث عن إعراض الكافرين في مختلف العصور، وفيها دعوتهم إلى الإيمان بالتي هي أحسن، وقد استنفذت السورة وسائل الإقناع العقلي، وأثبتت عتو أهل الكفر وجحودهم، فكانت سورة القتال بما فيها من جهاد وقواعد الحرب وتشريعاته متفقة تمامًا مع نسخ وسائل الدعوة السلمية بآية السيف. (١)

فأوعد الكفار بالهزيمة والهلاك وضياع الأعمال ثم مضى في هذا الترغيب والترهيب ، ثم توازن السورة بين المؤمنين والكافرين في أهدافهم وأغراضهم وحالهم ومالهم...، وتأكيدا للبون الشاسع بين الفريقين: المؤمنين والكافرين تقارن السورة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وهو المصير المحتم لكل من الفريقين. (٢)

---

(١) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي صـ١٣١ بتصرف.

(٢) النظم الفني في القرآن صـ٢٨٦، ٢٨٧ بتصرف، وإيجاز البيان في سور القرآن للصابوني صـ١٩٤:١٩٦ بتصرف.

ثم تنتقل السورة إلى الحديث عن المنافقين فتلحقهم بالكفار وتذكر أنه طبع على قلوبهم ولا يتوقع منهم الإيمان إلا أن تأتيهم الساعة بغتة، ولكن التوبة عندها لا تنفع صاحبها، ثم يأتي أمر النبي ﷺ أن يستمر هو والمؤمنون على الإخلاص في توحيده لأنه يعلم متقلبهم ومثواهم، حتى لا يكونوا كهؤلاء المنافقين في مخالفة باطنهم لظاهرهم؛ فالمنافقون الخطر الداهم على الإسلام والمسلمين، وقد تكرر ذكر المنافقين ووصف دسائسهم والتنديد بمؤامراتهم وأخلاقهم في السورة المدنية كما تكرر ذكر اتصالهم باليهود، وهذه السورة إحدى المواضع التي وردت فيها الإشارة إلى المنافقين وإلى اليهود، ثم ختم السورة بمثل ما بدأها به من تحريض على القتال، وأنه لن يمكن أعداء المسلمين منهم، وإنما شرع الجهاد ليعلم المجاهدين والصابرين منهم، ونهاهم أن يهنوا في القتال، ويدعو إلى السلم وهم الأعلون، وقد وعدهم بالنصر وحسن الأجر. وعقب على ذلك بالإنذار والوعيد لمن يبخل عن بذل ماله شحا وبخلا "وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم".[1]

---

(١) النظم الفني في القرآن صـ٢٨٧ بتصرف، وإيجاز البيان في سور القرآن صـ١٩٧ بتصرف.

قال تعالى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)} [محمد: ١٩].

المعنى العام للآية وعلاقتها بما قبلها وما بعدها:

الآية مدنية في سورة مدنية، ومعظم مقصود السّورة: الشكاية من الكفَّار في إعراضهم عن الحقِّ، وذكر آداب الحرب والأَسرى وحكمهم، والأَمر بالنُّصرة والإِيمان، وابتلاء الكفَّار في العذاب، وذكر أَنهار الجنة: من ماء، ولبن، وخمر، وعسل، وذكر طعام الكفَّار وشرابهم، وظهور علامة القيامة، وتخصيص الرّسول - ﷺ - بأَمره بالخوض في بحر التوحيد، الآية محل البحث، ثم الشكاية من المنافقين، وتفصيل ذميمات خِصالهم، وأَمر المؤمنين بالطاعة والإِحسان، وذمّ البخلاءِ في الإِنفاق، وبيان استغناءِ الحَقِّ تعالى، وفقر الخَلْق في قوله: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ}[1].

اسمها سورة القتال، والقتال هو العنصر البارز فيها. والقتال في صورها وظلالها. والقتال في جرسها وإيقاعها.

القتال موضوعها. فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا، مع إيحاء بأن اللهّ عدو للأولين وليّ للآخرين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير اللهّ سبحانه. فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة:

---

(١) بصائر ذوي التمييز ج١/ ٤٣٠.

«الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِّ أَضَلَّ أَعْمالهُمْ ....."

وعقب إعلان هذه الحرب من اللهّ على الذين كفروا ، أمر صريح للذين آمنوا بخوض الحرب ضدهم.

في صيغة رنانة قوية ، مع بيان لحكم الأسرى بعد الإثخان في المعركة والتقتيل العنيف : «فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ .....

ومع هذا الأمر بيان لحكمة القتال ، وتشجيع عليه ، وتكريم للاستشهاد فيه ، ووعد من اللهّ بإكرام الشهداء ، وبالنصر لمن يخوض المعركة انتصارا للهّ ، وبهلاك الكافرين وإحباط أعمالهم : «ذلِكَ وَلَوْ يَشاءُ اللهُّ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ، وَلكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ، وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالهُمْ. سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الجُنَّةَ عَرَّفَها لهُمْ .....

ومعه كذلك تهديد عنيف للكافرين ، وإعلان لولاية اللهّ ونصرته للمؤمنين ، وضياع الكافرين وخذلانهم وضعفهم وتركهم بلا ناصر ولا معين : «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ دَمَّرَ اللهُّ عَلَيْهِمْ ، وَلِلْكافِرِينَ أَمْثالهُا.....

ثم تمضي السورة بعد هذا الهجوم العنيف السافر في ألوان من الحديث حول الكفر والإيمان، وحال المؤمنين وحال الكافرين في الدنيا والآخرة.

فإذا انقضت هذه الجولة الأولى في المعركة السافرة المباشرة بين المؤمنين والكافرين. أعقبها في السورة جولة مع المنافقين ، الذين كانوا هم واليهود بالمدينة يؤلفون خطرا على الجماعة الإسلامية الناشئة لا يقل عن خطر المشركين الذين يحاربونها من مكة وما حولها من القبائل، والحديث عن

المنافقين في هذه السورة يحمل ظلالها. ظلال الهجوم والقتال، منذ أول إشارة. فهو يصور تلهيهم عن حديث رسول اللهّ، وغيبة وعيهم واهتمامهم في مجلسه ويعقب عليه بما يدمغهم بالضلال والهوى:

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: ماذا قالَ آنِفاً؟ أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُّ عَلى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ»..

وترتيب الوقائع في الآية يستوقف النظر. فالذين اهتدوا بدأوا هم بالاهتداء، فكافأهم اللهّ بزيادة الهدى، وكافأهم بما هو أعمق وأكمل: «وَآتاهُمْ تَقْواهُمْ».. والتقوى حالة في القلب تجعله أبدا واجفا من هيبة اللهّ، شاعرا برقابته، خائفا من غضبه، متطلعا إلى رضاه، متحرجا من أن يراه اللهّ على هيئة أو في حالة لا يرضاها..

هذه الحساسية المرهفة هي التقوى.. وهي مكافأة يؤتيها اللهّ من يشاء من عباده، حين يهتدون هم ويرغبون في الوصول إلى رضا اللهّ.

والهدى والتقوى والحساسية حالة تقابل حالة النفاق والانطماس والغفلة في الآية السابقة.

ومن ثم يعود بعد هذه اللفتة إلى الحديث عن أولئك المنافقين المطموسين الغافلين، الذين يخرجون من مجلس رسول اللهّ - ﷺ - ولم يعوا مما قال شيئا ينفعهم ويهديهم. ويستجيش قلوبهم للتقوى، ويذكرهم بما ينتظر الناس من حساب وجزاء: «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً؟ فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها. فَأَنَّى لَهُمْ - إِذا جاءَتْهُمْ - ذِكْراهُمْ؟».

وهي جذبة قوية تخرج الغافلين من الغفلة بعنف ، كما لو أخذت بتلابيب مخمور وهززته هزا! ماذا ينتظر هؤلاء الغافلون الذين يدخلون مجالس رسول اللهّ - ﷺ - ويخرجون منها ، غير واعين ، ولا حافظين ، ولا متذكرين؟ ماذا ينتظرون؟ «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً؟» .. فتفجأهم وهم سادرون غارون غافلون هل ينظرون إلا الساعة؟ «فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها». ووجدت علاماتها.

إنها الهزة القوية العنيفة التي تخرج الغافلين من غفلتهم والتي تتفق كذلك مع طابع السورة العنيف.

ثم يتجه الخطاب إلى الرسول - ﷺ - ومن معه من المهتدين المتقين المتطلعين ليأخذوا طريقا آخر. طريق العلم والمعرفة والذكر والاستغفار ، والشعور برقابة اللهّ وعلمه الشامل المحيط ويعيشوا بهذه الحساسية يرتقبون الساعة وهم حذرون متأهبون : «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ وَاللهُّ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْواكُمْ» .

وهو التوجيه إلى تذكر الحقيقة الأولى التي يقوم عليها أمر النبي - ﷺ - ومن معه : «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُّ»، وعلى أساس العلم بهذه الحقيقة واستحضارها في الضمير تبدأ التوجيهات الأخرى : «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ولكن هذا واجب العبد المؤمن الشاعر الحساس الذي يشعر أبدا بتقصيره مهما جهد ويشعر - وقد غفر له - أن الاستغفار ذكر وشكر على الغفران. ثم هو التلقين المستمر لمن خلف رسول اللهّ - ﷺ - ممن يعرفون منزلته عند ربه ويرونه يوجه إلى الذكر

والاستغفار لنفسه. ثم للمؤمنين والمؤمنات. وهو المستجاب الدعوة عند ربه. فيشعرون بنعمة اللّه عليهم بهذا الرسول الكريم.

وبفضل اللّه عليهم وهو يوجهه لأن يستغفر لهم ، ليغفر لهم! واللمسة الأخيرة في هذا التوجيه: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْواكُمْ» ..

حيث يشعر القلب المؤمن بالطمأنينة وبالخوف جميعا. الطمأنينة وهو في رعاية اللّه حيثما تقلب أو ثوى.

والخوف من هذا الموقف الذي يحيط به علم اللّه ويتعقبه في كل حالاته ، ويطلع على سره ونجواه ..

إنها التربية. التربية باليقظة الدائمة والحساسية المرهفة ، والتطلع والحذر والانتظار ..

وينتقل السياق إلى تصوير موقف المنافقين من الجهاد ، وما يعتمل في نفوسهم من جبن وخور وذعر وهلع عند مواجهة هذا التكليف ، ويكشف دخيلتهم في هذا الأمر ، كما يكشف لهم ما ينتظرهم لو ظلوا على هذا النفاق ، ولم يخلصوا ويستجيبوا ويصدقوا اللّه عند ما يعزم الأمر ويتحتم الجهاد، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا : لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ. فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ...[1]

---

(١) في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص : ٣٢٧٨: ٣٢٩٦ باختصار.

وفي الجولة الثالثة والأخيرة في السورة عودة إلى الذين كفروا من قريش ومن اليهود وهجوم عليهم : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِّ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ - مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لهُمُ الهُدى - لَنْ يَضُرُّوا اللهَّ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمالهُمْ» ..

وتحذير للذين آمنوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أعداءهم : «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِّ ثُمَّ ماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُّ لهُمْ» ..

وتحضيض لهم على الثبات عند القتال : «فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُّ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ» ..

وتهوين من شأن الحياة الدنيا وأعراضها. وحض على البذل الذي يسره اللهّ ، ولم يجعله استئصالا للمال كله ، رأفة بهم ، وهو يعرف شح نفوسهم البشرية ، وتبرمها وضيقها لو أحفاهم في السؤال.

«إِنَّمَا الحُياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلهْوٌ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ. إِنْ يَسْئَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيخْرِجْ أَضْغانَكُمْ» ..

وتختم السورة بما يشبه التهديد للمسلمين إن هم بخلوا بإنفاق المال ، وبالبذل في القتال : «ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ، وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَاللهُّ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ» ..

إنها معركة مستمرة من بدء السورة إلى ختامها يظللها جو القتال ، وتتسم بطابعه في كل فقراتها.

وجرس الفاصلة وإيقاعها منذ البدء كأنه القذائف الثقيلة : «أَعْمالهُمْ. بالهُمْ. أَمْثالهُمْ. أَهْواءَهُمْ. أَمْعاءَهُمْ ..».

وحتى حين تخف فإنها تشبه تلويح السيوف في الهواء : «أَوْزارَها. أَمْثالهُا. أَقْفالهُا ...».

وهناك شدة في الصور كالشدة في جرس الألفاظ المعبرة عنها.... وهكذا يتناسق الموضوع والصور والظلال والإيقاع في سورة القتال ..[١].

التحليل البلاغي للنظم القرآني في الآية:

بدأت الآية بالفاء الفصيحة، التي أفصحت عن شرط مقدر، "أي: إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين، فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية، فإنه وحده المجدي يوم القيامة، وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من يؤمنون برسالتك، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلم، وأن واسمها وجملة "لا إله إلا الله" خبرها"[٢]

والواو في قوله "والله يعلم..." استئنافية، أي: "والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم، ويعلم حين تستقرون في منازلكم، أو: متقلبكم في حياتكم، ومثواكم في القبور، أو: متقلبكم في أعمالكم، ومثواكم من الجنة و النار. ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى، وأن

---

(١) في ظلال القرآن ص ٣٢٧٨: ٣٢٩٦ بتصرف واختصار.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه ج٩ / ٢١٢.

يستغفر ويسترحم[١]. ولعل التعبير بالمثوى في القبر غير دقيق، لأن القبر لا يكون مثوى، وإنما مرحلة انتقالية بين الدنيا والآخرة، والمثوى الأخير إما في جنة أو نار.

والمتأمل للنظم الكريم يجد أن الأمر "فاعلم" أمر مجازي يفيد الدوام والاستمرار، ويعد كناية أيضا عن طلب العلم، ذلك لأنه قد علمه النبي والمؤمنون فهو لذلك يفيد الدوام والاستمرار.

أما الأمر في "واستغفر" فهو لطلب التجديد، إن كان قد علمه النبي ﷺ، من قبل، أو هو لطلب التحصيل إن لم يكن فعله من قبل[٢].

فقد فرق صاحب التحرير والتنوير بين كلا الأمرين، فالأول للدوام، والثاني احتمل الدوام واحتمل طلب التحصيل، وإن كان هناك بعض التحفظ على احتمال المعنيين في حق النبي ﷺ، فهو المعصوم، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه، فلا يستقيم أن يحتمل الأمر مع النبي ﷺ المعنيين، بل هو في حقه أمر للتعليم فهو مأمور بتلبية أوامر الله، وكذلك أمته من بعده.

وتتضح دقة النظم القرآني في استخدام مادة العلم مرتين في الآية، الأولى من الأعلى للأدنى، على سبيل الدوام والاستمرار، أمر بالعلم من الله لنبيه ومن آمن معه.

---

(١) الكشاف ج٣/ ٥٣٥.

(٢) التحرير والتنوير المجلد ١٠/ ج٢٦ ص ١٠٥ بتصرف يسير.

والثانية فعل مضارع "يعلم" في جملة الفاصلة للآية، وهي إخبار عن أن الله هو العليم بكل أحوالنا، متقلبنا ومثوانا، على كل المعاني والتقديرات لمعنى المثوى والمتقلب.

والأمر بالعلم وجوبي في حق غير الرسول ﷺ، ممن لم يؤمن، فهو مأمور بالعلم قبل أن يطالب بالعمل، ولذا فقد أخر الاستغفار في الآية عن الأمر بالعلم، لأن العلم بكلمة التوحيد ومقتضاها هو أصل أصول الدين، وعليه تبنى كل الفرعيات، فإن كان الأساس قويا كان صرح الدين شامخا في القلب، وإن كانت الأخرى كان الإنسان على خطر.

وكما دل الكلام على التوحيد بهذه الكلمة صريحا، دل على كلمة الرسالة التي لا ينفع التوحيد إلا بها تلويحا بتسمية السورة "سورة محمد"، فهي القتال لأنه أمر ﷺ أن يقاتل الناس حتى يصرحوا بما صرحت به السورة من كلمة التوحيد، وهي سورة محمد لأن التوحيد لا ينفع بدون الشهادة له بالرسالة، وبين الكلمتين مزيد اتفاق، يدل على تمام الاتحاد والاعتناق[1].

والمراد من استغفر لذنبك: توفيق العمل الحسن، واجتناب العمل السيئ، ووجهه أن الاستغفار طلب الغفران، والغفران هو الستر على القبيح، ومن عصم فقد ستر عليه قبائح الهوى، ومعنى طلب الغفران: ألا تفضحنا، وذلك قد يكون بالعصمة منه، فلا يقع فيه كما كان للنبي ﷺ، وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات ، وفي هذه الآية

---

(١) نظم الدرر المجلد٧/ ص ١٦٤، ١٦٥.

لطيفة وهي أن النبي ﷺ له أحوال ثلاثة حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره ، فأما مع الله وحده ، وأما مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله ، وأما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } يعني حالكم في الدنيا وفي الآخرة وحالكم في الليل والنهار[١].

وأخيرا: فإنك إذا ما نظرت في قوله تعالى: "فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم" وتدبرت قوله "فاعلم أنه لا إله إلا الله" وحده من غير تربطه بسياقه المقالي والمقامي، فإنك تصل إلى أن الله جل ثناؤه يأمر نبيه وأمته من بعده أن يعلم بأن الله واحد، وهذا المعنى إذا ملأ القلب كفاه زادا في سعيه في هذه الحياة[٢].

اتفاق كلمة التوحيد مع الشهادة للنبي بالرسالة، جعلت هذه السورة لها السبق في ذكر ذلك أولا قبل سورة الفتح التي تليها.

---

(١) التفسير الكبير ج ٢٨/ ٦١.

(٢) العزف على أنوار الذكر: معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة- د/ محمود توفيق سعد-ط١-١٤٢٤هـ. ص١٤، ١٥.

الخاتمة

خلص البحث إلى النتائج الآتية:-

- الآية في سورة الصافات مكية في سورة مكية، بينما الآية الثانية في سورة محمد وهي مدنية، وفرق في الصياغة بين المكي والمدني. إلا أنه هنا ومع كلمة التوحيد تشابها الموطنان فكان وقع الكلام قويا يقرع الآذان مثل أسلوب المكي لأن سورة القتال أسلوبها وصورها دائمة القرع للمعنى قوية التفسير في النفس، كالمكية تماما. رغم اختلاف المعنى الأم للسورتين، فكان التوحيد الذي هو أصل الأصول، الجامع بين الموقفين.
- سياق الآية الأولى جاء في معرض الحديث عن المشركين يوم القيامة، حكاية عن ما ستكون عليه أحوالهم، بينما جاءت الآية الثانية في سياق الأمر للنبي ومن تبعه من المؤمنين، وشتان بين المخاطب والمتحدث عنه في الآيتين. وهذا دليل على أن كلمة التوحيد واحدة لكل الناس، من لدن آدم عليه السلام، إلى قيام الساعة، وكما تحدث القرآن الكريم عمن كفر وأشرك واستكبر، حينما أمر بقول "لا إله إلا الله" فإن هناك من آمن وصدق، فكانت "لا إله إلا الله" منهجا لحياته، ودستورا أقام عليه كل قوانينه وتشريعاته. فالكل مأمور بها والعمل

بمقتضاها، فمن لم يلزم الأمر فلا يلومن إلا نفسه. وكفي بأية الصافات زاجرا ومرهّبا.

- من أبرز مظاهر البلاغة في النظم القرآني في أية سورة الصافات التعبير بالمفردات التي تدل على التحقق والثبوت، (إنهم- كانوا- إذا). كما يلاحظ التركيز على المفعول حيث جاء الفعل مبنيا لما لم يسم فاعله، والقصر في كلمة التوحيد الذي أفاد التأكيد والإيجاز، ثم التعبير بالاستكبار دون التكبر دليل على أنهم تكلفوا طلب الكبر، وعاندوا الحق عن عمد، فاستحقوا تلك النهاية المؤسفة.
- كلمة التوحيد في سورة الصافات هي قلب المعنى الأم، والمحور الرئيس للسورة، حيث جاءت السورة لمعالجة موضوع التوحيد، فبدأت بالقسم على أن الإله واحد، وتتوالى الصور والمشاهد لتقف مع الآية محل البحث في مشهد القيامة، وقد لاقى المشركون جزاء شركهم واستكبارهم وإجرامهم، هم ومن أغووهم فشاركوهم العذاب.
- من أبرز مظاهر البلاغة في النظم القرآني في آية سورة محمد البدء بالأمر المجازي الذي تعددت دلالته حسب السياق ومقتضى الحال، والتي منها أنه أمر يفيد الدوام والاستمرار تعليما للمؤمنين بدوام لزوم التوحيد ومن بعده الاستغفار، حتى يسلم ويصفو له دينه، كما أن

القصر في كلمة التوحيد أفاد ما أفادته أية سورة الصافات، لولا اختلاف السياق العام في كل من السورتين.

- إن كلمة التوحيد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمعنى المحوري للسورة، حيث إن موضوع السورة الأكبر هو القتال، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالتوحيد، فالقتال لا يكون إلا ضمن قواعد و شروط معينة، فإن النبي ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..... الحديث.
- علاقة نظم كل من الآيتين بالأخرى: جاءت أية الصافات خبرية تحكي موقفا للمجرمين، بينما كانت الثانية إنشائية تأمر بلزوم موقف، الأولى حكاية لحال المشركين المستكبرين، والثانية أمر للمؤمنين والرسول ﷺ معهم أن يعلموا ويعملوا بموجب علمهم، فمن عرف لزم، والجامع بينهما تضاد في التعبير اللفظي والسياق الكلمي، رغم أن كلمة التوحيد هي هي في الآيتين، إلا أن كلا منهما لاءم موقعه، وكمل الآخر، وبضدها تتميز الأشياء.

توصيات البحث :

توصي الدراسة بدراسة باقي الأساليب وعقد موازنات بينها وعلاقة كل منهما بالأخرى.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ،،،

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أسرار ترتيب القرآن لجلال الدين السيوطي – دار الفضيلة للنشر والتوزيع .
- الإعجاز في نظم القرآن، د/ محمود السيد شيخون ط١ – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة سنة ١٣٩٨/ ١٩٧٨ م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش–ط٣– دار الرشاد– حمص– سوريا -١٩٩٢م.
- إيجاز البيان في سور القرآن لـ محمد على الصابوني –مكتبة الغزالي – مكة المكرمة سنة ١٣٩٨ هـ.
- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ت: محمد على النجار– ط٣– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة– سنة ١٩٩٦م .
- البلاغة وقضية الإعجاز د/ عبدالمجيد عبدالمجيد هنداوي (بدون طبعة).
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور– دار سحنون– تونس.
- التصوير الفني في القرآن للشيخ سيد قطب – دار المعارف .

- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي- دار الكتب العلمية- بيروت- ٢٠٠١م.
- دراسة في بلاغة عبدالقاهر الجرجاني "النظم" للدكتور عبدالقادر حسين سنة ١٤١٧/ ١٩٩٧م.
- دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني ت: محمود محمد شاكر – مكتبة الأسرة .
- رسالة معنى (لا إله إلا الله) للإمام الزركشي. بدون طبعة أو تاريخ.
- العزف على أنوار الذكر: معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة- د/ محمود توفيق سعد-ط١-١٤٢٤هـ.
- في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب – ط١٣ – دار الشروق- القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- تأليف: يحيى بن حمزة العلوي اليمني- دار الكتب العلمية- بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تأليف القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري- دار المعرفة – بيروت.

- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري د/ أحمد جمال العمري – مكتبة الخانجى- القاهرة سنة ١٤١٠/ ١٩٩٠.
- من أسرار التنزيل للأمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، الناشر دار المسلم.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي- دار الكتب العلمية – بيروت.
- النظم الفني في القرآن للشيخ عبدالمتعال الصعيدي – مكتبة الآداب – القاهرة .